الباب الرابع
القضايا فى الضمائر

الـفصـــل الأول
الحروف الأصلية فى الضمائر

إتفق النحاة على أن الضمائر كلها مبنية، واتفق جمـهورهم على أن سبب بناءها هو شبهها للحروف، ثم اختلفـوا فى نـوع مشابهتها للحرف. فقيل أنها قد إشبهت الحرف شبها وضعيـا، لأن أكثر الضمائر على حرف واحد أو حرفين. وقيل أنها قد اشـبهت الحرف شبها معنويا لأن التكلم والخطاب والغيبيـة مـن معـانى الحروف، وقيل أنها قد اشبهت الحرف شبها افتقاريا لأن كل ضمير يحتاج فى الدلالة على معناه إلى ضممة مشاهدة أو غيرها. وقيل أنها اشبهت الحرف شبها جموديا.[1]

---

[1] محمد محيي الدين عبد الحميد، أوضح المسالك، (بيروت، المكتبة العصرية) ص. ٨٩.

ومن هنا وردت فيها القضايا، منها إذا كانت الضمائر كلها مبنية. فلماذا يوجد الفرق بين حركة ما محله الجر ومحله النصب، مثل (عليهِ، كتابهُ، فى كتابهِ).

وبمناسبة هذه المسألة، ذهب الحجازيون على أن الحركة الهاء مبنية على الضم فى جميع حاله. وغيرهم يكسرها إن كان قبلها كسرة أو ياء ساكنة وإن كان الساكن غير الياء فضمت الهاء. وحكى أبو على أن ناسا من بكر بن وايل يكسرونها فى الواحد والمثنى والجمع.

وهى فى جميع أحوالها تكون مشبعة الحركة إذا وقعت بعد متحرك كما رأى بنو عقيل وكلاب فى جوازه ومطلقا عند ابن كثير. واذا وقعت بعد الكسرة أو الياء فكان أربع لغات. الأولى كسر الهاء من غير الوصل بياء وهو بعد الياء أكثرهما بعد الكسر والثانية كسرها مع وصلها بياء وهو بعد الكسرأشهر منه بعد الياء والثالثة ضم الهاء بلا واو والرابعة ضم الهاء مع الواو.[٢]

---

[٢] ابن الحاجب، كتاب الكافية فى النحو، ص. ١١

وبجانب ذلك وجدت القضايا الأخرى فى الحروف الموجودة فى الضمائر مثل ضمير المنفصل.

فاختلف النحاة فى أصل ضمير "أنا" أهو ثلاثى أم ثنائى فذهب البصريون إلى أنه ثنائى والألف فى آخره زائدة جائت إشباعا للفتحة، وتبيينا لها عند الوقف فكان مبنى على الفتح، وأما الكوفيون فيذهبون إلى أن الاسم مجموع الأحرف الثلاثة. وفيه خمس لغات ذكرها فى التسهيل، الأول إثبات ألفه وقفاً وحذفها وصلاً كما رأى ابن جنى، والثانية إثباتها وصلا ووقفا كما فى لغة بنى تميم، والثالثة بإبدال همزته هاء، والرابعة بمدة بعد الهمزة (آن)، والخامسة أن كعن حكاها قطرب[٣]

وكذلك الضمير فى (أنت)، ذهب البصريون أن الضمير هو "أنْ" ثم زيدت عليها التاء الخطاب، والكوفيون يذهبون إلى أن أنت بكماله اسم والتاء من نفس الكلمة كما قال الفرآء، وقال بعض

---

[٣] أحمد الرفاعى، حاشية محمد بن على الصبانى على شرح على بن محمد الأشمونى لألفية ابن مالك، الجزء ١٠٠

الكوفيين وابن كيسان أن الضمير المرفوع هو التاء المتصرفة فكلنت مرفوعة متصلة، فلما أرادوا انفصالها دعوها بأن لتستقل لفظاً. [٤]

وفى ضمير (هو وهي)، ذهب الكوفيون أن الاسم فيهما الهاء وحدها وإما الواو فى (هو) والياء فى (هي) فهما حرفان زآئدان قصد بهما دعم الهاء، والدليل على أن الاسم هو الهاء أن الواو والياء يحذفان فى التثنية (هما). وذهب البصريون إلى أن الهاء والواو فى هو والهاء والياء فى هي اسم بمجموعهما لأنه ضمير منفصل، والضمير المنفصل لا يجوز أن يبنى على حرف واحد لأنه لا بد من الإبتداء بحرف والوقف على حرف، فلو كان الاسم هو الهاء كان يؤدى أن يكون الحرف الواحد بساكنا متحركا، والميم والألف فى (هما) والميم فى (هم) والنون المشددة فى (هن) حروف زائدة وأصلها "هوما" و"هيما" و"هوم" و"هين"، فخفف بحذف الواو والياء وزيادة الميم فى جميع المذكر والنونين فى جمع المؤنث، فالضمير هاء فقط. [٥]

---

[٤] ابن الحاجب، المرجع السابق، ص. ١٥

[٥] كمال الدين أبى البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبى سعيد الأنبارى، الإنصاف فى مسائل الخلاف، ص. ٦٧٧-٦٨١

وأما ضمير المنفصل فى محل النصب فذهب البصريون على أن الاسم المضمر هو إيا، أما الكاف والهاء واليـاء فحروف لا موضع لها من الإعراب لإنها لو كانت معربة لكان إعرابها الجر بالإضافة والاسماء المضمرة لا تضاف إلى ما بعدها، لأن الإضافة يراد بها التخصيص والمضمر أعرف المعارف فلا يجوز إضافته إلى غيره، فوجد أن يكون لها موضوع من الإعراب. وقال قومٌ من الكوفيين أن إيّاك وإيّاه وإيّاي اسمآء بكمالها، وقال بعض الكوفيين وابن كيسان من البصريين أن الضمائر هي اللاحقة بإيّا وإيّا دعامة لها لتصير بسببها منفصلة. [٦] وذهب الخليل بن أحمد إلى أن إيا ضمير أضيف إلى ما بعدها و أبو العباس محمد بن يزيد المبرد يرى أن إيّا اسم مبهم أضيف للتخصيص ولا يعلم اسم مبهم أضيف غيره. وذهب أبو إسحاق الزجاجى إلى أنه اسم مظهر خصّ بالإضافة إلى سائر المضمرات، وأنها فى موضع الجر بالإضافة. [٧]

بعد مشاهدة ما سبق من مظاهر الخلاف بين النحاة فى مسألة الضمائر، رأت الباحثة فيما يلى :

---

[٦] ابن الحاجب، المرجع السابق، ص. ١٣.

[٧] ابن الأنبارى، الإنصاف فى المسائل الخلاف، ص. ٦٩٥.

١- حركة هاء الضمير المتصل ضمة فى الاغلب إلا أن يكون قبلها ياء أو كسرة وقد يأتى ما يخالف ذلك كما وجدت القرآن الكريم فى قوله تعالى : (وما أنسانيهُ إلا الشيطان)[٨] و (من أوفى بما عاهد عليهُ الله)[٩]. وإذا وقعت الهاء بعد متحرك فيمتد الصوت بحركتها حتى يكاد يحدث له حرف علة مناسبا تلك الحركة، وأما إذا كانت المتحركة بعد ساكن فالأحسن ضمها من غير إشباع لحركتها سواء أكان الساكن صحيحا، نحو (منه) أم معتلا بغير ياء نحو (أباه، أبوه).

٢- الضمير فى أنا هو الهمزة والنون وأما الألف فهى زائدة جائت إشباعا للفتحة وتبيينا لها عند الوقف فالدليل على ذلك إبقاء الألف والنون فى ضمير مخاطب (أنت) وسقوط الألف عند الوصل أى فى الكتابة مع الألف وفى اللفظ غيره.

وكذلك أنت فإن الألف والنون ضمير، والتاء حرف جعل له الواضع مدخلا فى الدلالة على الخطاب بدليل إذ لو كانت التاء اسما لكان له موضوع من الإعراب، ولكنه لا يجوز أن

---

[٨] سورة الكهف : ٦٣.

[٩] سورة الفتح : ١٠

يكون مرفوعاً أو منصوبا لأنه لا رافع ولا ناصب له ولا يجوز أن يكون محفوظا لأنه مضمر. والمضمرة لا تضاف لأنها أعرف المعارف، وكذلك الضمير فى إيّاك وأخواتها فهو أيّا، والكاف والهاء والياء حروف لا موضوع لها من الإعراب، كما كانت التاء فى أنت وهى ليست من المضمر وإنما هى لمجرد الخطاب.

٣- الضمير فى هو و هي الهاء والواو، والهاء والياء معاً، بدليل لو كان الهاء وحدها لكان يؤدى إلى أن يكون الحرف الواحد، والضمير المنفصل لا يجوز أن يبنى على حرف واحد لأنه يقوم بنفسه فلا بد من حرف يبتدأ به وحرف يوقف عليه.

الفصل الثانى

موضع الضمائر بعد لولا وعسى

كما هو المعروف أن (ياء) المتكلم و (الكاف) الخطـــاب و (الهاء) الغيبة ضمائر مشتركة بين النصب والجر ولا تكون فى محـل رفع، فما إعراب كل واحد منها إذا وقع بعد كلمـــة (لـولا) و (عسى).

فذهب الكوفيون إلى أن الضمائر المتصلة بعد لولا وعســى فى موضع رفع لأن الظاهر الذى قام بعد لولا و عسى فى موضع الرفع فكذلك ما قام مقامه. وذهب البصريون إلى أن الضمائر المتصلـة فى موضع جر بلولا لأن الياء والكاف لا تكونان علامة مرفوع ولا فى موضع نصب لأن "لولا" حرف، وإذا لم يكن فى موضع رفـع ولا نصب وجب أن يكون فى موضع جر.

وبجانب ذلك هناك ثلاثة مذاهب كما ذكر ابن يعيـــش فى شرح المفصل :

"واعلم أنّ النحويين فى هذا الموضوع ثلاثة مذاهب. فمذهب سيبويه أنه يرى إيقاع الضمير المنفصل المرفوع بعدهـا هـو

الوجه كقولك لولا أنت ولا يمتنع من إجازة استعمال المتصل بعدها كقولك لولاك ولولاى ولولاه ويحكم بأن المتصل بعدها مجرور بها فيجعل لها مع المضمر حكما يخالف حكمها مع المظهر. ومذهب الأخفش أن الضمير المتصل بعدها مستعار للرفع فيحكم بأن موضعه رفع بالإبتداء وإن كان يلفظ المضمر المنصوب أو المجرور فيجعل حكمها مع المضمر وموافقا لحكمها مع المظهر ومذهب المبرد أنه لا يجوز أن يليها من المضمرات إلا المنفصل المرفوع واحتج بأنه لم يأت فى القرآن.[1]

وكذلك اختلف النحاة فى موضع الضمير المتصل بعد عسى، نحو : (عساى أن ادرك المراد، أو عسانى) أو (عساه أن يرشد إلى الصواب) أو (عساك أن توفق فى عمل خير) ففيه مذاهب.

ذهب سيبويه على أنها بمنزلة لعل لتقربهما فى معنى – الطمع والأسفاق- فينصب بعدها الاسم والخبر محذوف، مرفوع فى التقدير أى يبقى خبره مقترنا بأن. ورأى الأخفش على أن عسى باقية على أصلها والضمائر المنصوبة بعدها قائمة مقام المرفوع اسما لعسى.

---

[1] ابن يعيش، شرح المفصل، ص. ١١٩

وقال المبرد على أن الضمائر بعدها فى موضع نصب بأنها خبر عسى وأن اسمها ضمير مرفوع مستتر.[٢]

إذا استعنت الباحثة ما سبق من مظاهر الخلاف بين النحـلة فى هذه المسألة، رأت الباحثة أن موضع الضمائر المتصلة بعـــد لـــولا موافق لحكم المظهر بعدها – ترفع الاسم بعدها- على الإبتداء لأنها تدخل على الجملة الإسمية. فلا بد على أن يكون بعدها مبتـــداء. وكذلك عسى فإنه يعتبر حرفا ناسخاً يدل على الرجاء يعمل عمـل "إن"، فيكون موضعه فى محل نصب اسم عسى.

---

[٢] نفس المرجع، ص. ١٢٢.